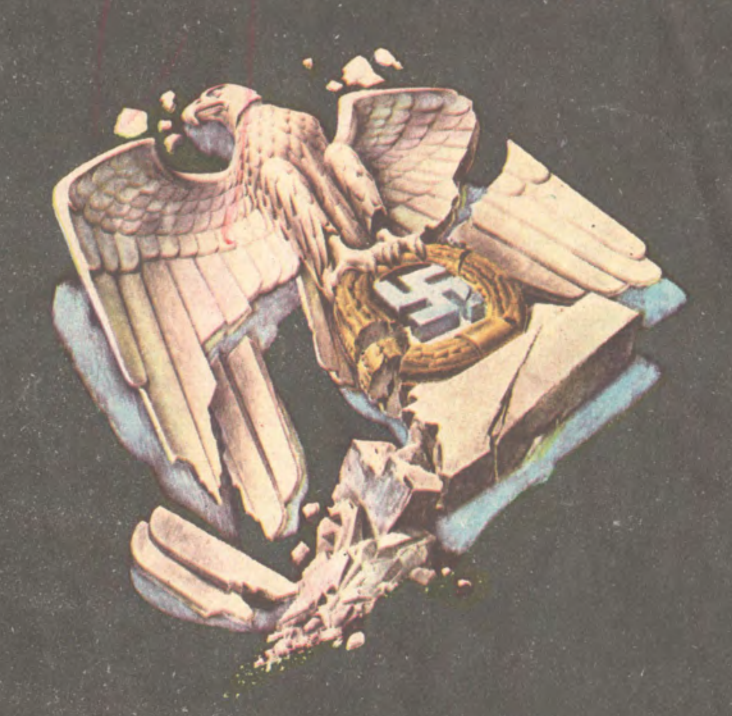
هدية من المختار

سقوط برلين

عن كتاب
The Last Battle

بقلم كورنيلياس ريان



القصة الكاملة لانهيار امبراطورية هتلر

الجزء الثالث

مايو ١٩٦٦

الجزء الثالث

المعركة الأخيرة

كان هدير ٢٠ ألف مدفع روسى ، ومقطوعة « جوتردا ميرونج » الموسيقية هى مقدمات معركة المانيا الاخيرة .. المعركةالتى هلكت فيها آلهة الرايخ الثالث وسط النيران التى اجتاحت برلين ..

وفى هذا الجزء الختامى من كتاب كورنيلياس ريان ، يعيد المؤلف تصوير المشاهد الاخيرة لاروع المذابح التى شهدهاالتاريخ رهبة ، ويصف فى عبارات نارية كيف كان الزحف الروسى يمضى دونهوادة.. ونوبة الجنون التى صبغت أيام هتلر الاخيرة ، ورعدة الموت التىاصابت المدينةالتى اجتاحتها موجة محمومة من أعمال الانتقام ... والانتحار .

انه تحقيق سياسىوعسكرى رائع يعتبرمرجعا لمؤرخى المستقبل ..

ان كتاب ((المعركة الاخيرة)) هوأصدق دليل على أسوأ واحسن مايمكن ان يثار فى الروح البشرية ..

(٣)

في ١٥ ابريل ١٩٤٥ لم يبق شيءتقريبا من الرايخ الثالث الذي كان في يوم من الايام شيئا قويا رهيبا ٠وكان هناك جيشان روسيان هائلان يتأهبان للهجوم علي مسافة ٥٠ ميلاشرق برلين ، بينما صدرت الاوامر للقوات المتحالفة في الغرب بالتوقف عندنهر الالب ، والا تستولي علي العاصمة الالمانية ٠

وفي عشية المعركة الاخيرة ، كانقواد هتلر يعرفون انه ينتظر منهم ان يقاتلوا حتي آخر رجل ٠

كان الجنرال هاينريتشي يعرف كلالعلامات ٠٠ ففي بعض النقاط على طول الجبهة الشرقية ، كان الروس قداطلقوا سيلا من نيران المدفعية فترة قصيرة ، وفي نقاط أخري كانوا قدشنوا عددا من الهجمات الصغيرة ، وكانت هذه الاعمال بالنسبةلهاينريتشي ـ الرجل الذي كلف بوقف الزحف الروسى علي برلين عند نهر الاودر ـ مجرد محاولات لجس النبض ٠٠ وكان عليه الآن ان يقرر متي يصدر الاوامر للقيام بالمناورة التي أكسبته شهرة : الانسحاب المفاجيءلرجاله نحو خط ثان للدفاع قبل اطلاق سيل قذائف العدو الذي سيكون اشارةللهجوم الرئيسى ٠

وأخذ هاينريتشى يدرس بعنايةآخر دفعة من تقارير المخابرات ، وبينها أحدث استجوابات للاسري ٠كان أحد التقارير يتحدث عن جندي في الجيش الاحمر ذكر : « ان عملياتالهجوم الاساسى ستبدأ خلال فترة تتراوح بين خمسة وعشرة ايام ٠ وقدذكر الاسير أن هناك أحاديث تقول : ان روسيا لن تسمح لامريكا وانجلترابطلب فتح برلين ٠

وفي مقر قيادته في غابة شونفالدشمال برلين عكف هاينريتشى علي التقارير والحديث مع أركان حربه ثمأخذ يذرع ارض مكتبه وقد تشابكت يداه خلف ظهره ، وحني رأسه اليأسفل وهو يركز أفكاره ٠ وفجأة توقف٠ ويقولأحد مساعديه ممنكانوايرمقونه بامعان : « كان يبدو وكأنه يشم الهواء نفسه »

والتفت الي ضباطه وقال بهدوء :« انني اعتقد ان الهجوم سيحدث فى الساعات الاولي من صباح غد » وأومأالي رئيس اركان حربه واصدر امرا من سطر واحد للجنرال ثيودور بوس الذيبقود الجيش التاسع الالماني قال فيه : « تراجع الليلة للوراء واتخذ لقواتكمواقع علي خط الدفاع الثاني »

لم تكن غريزة هاينريتشى في التوقيت قد خذلته قط ... وبعد سبع ساعات و١٥ دقيقة بالضبط ـ اي فى الساعة الرابعة من صباح الاثنين ١٦ ابريل ١٩٤٥ فتح الروس سيل مدفعيتهم ، وبدأ هاينريتشى خوض معركة ألمانيا الاخيرة .

● ٢٠ الف مدفع

كان السكون التام يسود علي طول جبهة جيش روسيا البيضاء الاول وسط ظلام الغابات الحالك ، وتحت اشجار الصنوبر والشباك التي تخفى المدافع ، اصطفت المدافع ميلا بعد ميل . كانت مدافع المورتار في المقدمة ووراءها الدبابات وقد رفعت مدافعها الطويلة الي أعلي ، وتأتي وراءها المدافع الذاتية الاطلاق ويتبع هذا كله بطاريات المدفعية الثقيلة والخفيفة . وعلي طول المؤخرة كان هناك ٤٠٠ من قاذفات الصواريخ المتعددة الفوهات ، ويستطيع كل منها ان يطلق ١٦ قذيفة في وقت واحد ..وعلي رأس جسر كوسترين علي الضفة الغربية لنهر الاودر ،احتشدت المصابيح الكاشفة وقد وجهت مباشرة نحو الخطوط الالمانية .

ومع كل لحظة تمر ، كان يبدو للكابتن سيرجى جولبوف أن السكون يزداد كثافة . كان مع قواته علي الضفة الشرقية لنهر الاودر ، ومن حوله حشود من قوات الهجوم وطوابير الدبابات وفصائل المهندسين . وكان فى استطاعة جولبوف أن يحس بالجنود وقد سرت فيهم رعشة التأثر ، كالجياد التي ترتعد امام الصيد .

وفي الوسط ، ازدحمت القوات فى رأس الجسر علي الضفة الغربية للنهر ، وهذه المنطقة الرئيسية التي يبلغ طولها ٥٠ كيلومترا وعمقها ١٥ كيلومترا هي نقطة الوثوب التالية للمارشال جورجى زوكوف في زحفه علي برلين . فمن هنا سوف يشن رجال الفرقة الثامنة للحرس هجومهم وما ان يستولوا علي مرتفعات سيلو الخطيرة التي تقع امامهم مباشرة ، حتي تتبعهم علي الفور العربات المصفحة والدبابات .

وفي وكر خاص بني في تل يطل علي رأس جسر كوسترين ، وقف المارشال زوكوف يحدق ساكنا في الظلام ، وكان معه الجنرال فاسيلي شويكوف الذي قاد الدفاع عن ستالنجراد وقائد فرقة الحرس الثامنة . ومنذ معركة ستالنجراد ، اصيب شويكوف بالاكزيما ، وقد أثر الطفح بصفة خاصة على يديه ، وفي سبيل وقايتهما ، ارتدي شويكوف قفازا اسود ، وبينما كان ينتظر بدء الهجوم الان ، راح يدعك احدي يديه المختفيتين داخل القفاز بالاخري في عصبية .

وفجأة سأله زوكوف : « فاسيلي ايفانوفيتش · هل كل كتائبك في مواقعها ؟ »

فأجاب شويكوف بسرعة وتأكيد :طوال الثماني والاربعين ساعة الماضية ايها الرفيق المارشال ·· وقد نفذت كل ما أمرتم به ·

ونظر زوكوف الي ساعته ، ثم اسند نفسه الي فتحة المخبأ ، وأمال قبعته الي الوراء ، ووضع مرفقيه علي الحافة الخرسانية ، وضبط منظاره المكبر ·· واخذت الثواني تمر بسرعة ·· وقال زوكوف بهدوء :

« الآن ايها الرفاق ·· الآن »

وانطلقت ثلاث شعلات حمراء الي السماء المظلمة ·· وظلت الالوان لحظة معلقة في وسط الجو ، تغمر نهر الاودر بلون قرمزي · ثم اضيئت انوار مصابيح زوكوف الكشافة ·· وبشدة تعمي الابصار ، ركزت المصابيح المضادة للطائرات الضخمة وعددها ١٤٠ مصباحا ، تعززها انوار الدبابات وسيارات النقل ، وغيرها من المركبات اضواءها مباشرة علي المواقع الالمانية ، وقد ذكر هذا الوهج الذي يبهر الابصار المراسل الحربي الكولونيل بافيل تروبانسكى بألف شمس انضمت الي بعضها البعض ·

وانفجرت الجبهة في هدير يصم الآذان وزئير يهز الارض ، بينما كان اكثر من ٢٠ الف مدفع من كل الاعيرة تصب عاصفة من النيران على مواقع الالمان ، وبدأ الريف الالماني الذي لم يستطع حراكا امام الوهج الذي لا يرحم من الاضواء الكاشفة ، يكاد يختفي امام جدار مهتز من قذائف متفجرة وقد تفتتت قري بأكملها ، وتطايرت قطع من الارض والاسمنت والصلب ، وأجزاء من الشجر في الهواء ، وكان اعصار المتفجرات شديدا الي حد ان اضطرابا جويا نشأ في المنطقة · وبعد سنوات ، ظل من بقى حيا من الالمان يذكر الريح الغربية الساخنة التي كانت تزأر خلال الغابات مثيرة الغبار في الجو ، وهي تثنى الاغصان في طريقها ·

كان هدير الصوت مذهلا بينما كانت القذائف الصاروخية تمرق من أجهزة الاطلاق في مجموعات نارية وهي تئز خلال الليل ، تاركة خلفها ذيولا بيضاء طويلة ·· وفي غمرة هذا الضجيج ، بدأت قوات الهجوم التي يقودها زوكوف تتحرك الي الامام ·

كانت صفوف الجنود تضم رجالا حاربوا في ليننجراد وسمولنسك وستالنجراد ، وامام موسكو ·· رجال شقوا طريقهم عبر نصف قارة لكي يصلوا الي الاودر وكان هناك جنود رأوا قراهم ومدنهم تمحى من الوجود

بمدافع الالمان ، ومحصولاتهم تحرق ،واسرهم تذبح بأيدي الجنود الالمان ٠٠ وقد عاشوا من اجل لحظة الانتقام هذه٠٠ وكذلك كان هناك الوف ممن اطلق سراحهم أخيرا من اسري الحـــربوكانت الحاجة الي التعزيزات السوفيتية ماسة وعاجلة الي حد ان هؤلاء الرجال المحطمين المرهقين ، اعطوا اسلحة ، وهم يندفعون الآن الي الامام ســاعين وراء انتقام رهيب ٠

كانت حمي الحماسة التي استولت علي الجنود الروس تجعلهم يجدون من المستحيل ان ينتظروا وصول القــوارب أو الجسور ٠ وقد أخـــذ جولبوف ينظر في دهشة بينما كان الجنـــوديهتفون ويصيحون وهم يغوصـــون في مياه الاودر بكامل عتادهم ثم شرعوافي السباحة ، وآخـــرون ظلوا عائمين وهم يمسكون صفائح البنزين الخالية وألواح الاخشـــاب وكتل الخشب ، وجذوع الاشجار ٠٠ واي شيء يستطيع ان يطفو علي الماء ٠

وبعد ٣٥ دقيقة انتهى قذف المدفعية فجأة تاركا وراءه سكونا مذهلا ٠ وقد بدأ ضباط اركان الحرب فجأة يشعرون بوجود أجهـــزة التليفون منـــذ متى وهي تواصل الرنين ؟ لا أحد يعرف ذلك ، فقد كانوا جميعا يعـــانون من درجة ما من الصمم ، وبدأ الضباط يتلقون المكالمات من قواد الميـــدان ٠ وسرعان ما تلقى شويكوف انبـــاء طيبة ، واعلن في فخر :

« لقد تم الاستيلاء علي الاهـــداف الاولي »

ويذكر الجنرال نيكولاي بوبيل : ان زوكوف امسك شويكوف بيده وقال له : « رائع ! رائع ! ٠٠ جيد جـداحقا ! » ولكن رغم ســـروره ، فان زوكوف كان يتمتع بخبرة كبيرة تجعله لا يبخس قدر العدو ٠ وقد تحسنت حال المارشال القصير المتين البنيـــان عندما تم الاستيلاء علي منطقة مرتفعات سيلو الحيوية ٠٠

كانت القاذفات الروسية قد بدأت ضرب المنـــاطق التي تقع الي الامام وكان المقرر ان تؤيد هذا الهجوم ٦٥٠٠ طائرة ، بالاضافة الي هجوم روسى ثان كبير ٠٠ ففى السادسة صباحا ،كانت قوات المارشال ايفان كونييف الي الجنوب ، سوف تزحف عبر نهـــر نيس ٠

● « تحركوا »

لم يفـــاجأ هاينريتشى بالهجوم الروسى علي الرغم من ان اغلب ضباطه قد اصابهم الخشوع لضخامة قنـــابل المدفعية ٠ وكانت خطة الدفاع قـــد سارت علي مايرام ، وبقيت اغلبيـــة جيشه التاسع ومدفعيته سليمة علي الخط الثاني للدفاع في انتظار الزحف الروسى ٠

كان هناك شيء واحد خاطيء فقط٠٠ فلم يكن لدي هاينريتشى ما يكفى من الرجال او المدافع ، فعلي النقيض من قوة مدفعية زوكوف التي تتكون من ٢٠ الف مدفع من كل عيار ، كان لدي مجموعة جيش الفيستولا التابعة لهاينريتشى حوالي ٣٥٠ قطعة مدفعية بالاضافة الي ٦٠٠ مدفع مضاد للطائرات بدأت تستخدم الان كمدفعية

والي جانب ذلك كان لدي هاينريتشى اقل من ٧٠٠ دبابة عاملة ، ومدافع ذاتية الحركة ، ولما كانت مساعدة السلاح الجوي الالماني من الجو قليلة ، مع عدم وجود اي احتياطي من الدبابات او الذخيرة او الوقود ، فان هاينريتشى كان يعرف أن العدو لابدان يقتحم خطوطه في النهاية ٠

كانت الارض وحدها هي التي تمنحه قدرا معينا من الميزة ، ولاسيما الهضبة التي تشبه حدوة الحصان بمنطقة مرتفعات سيلو ، والتي تطل علي واد اسفنجى تتخلله جداول ونهيرات صغيرة ، وكان علي الروس ان يعبروا هذا الوادي ، وقد وضعت مدافع هاينريتشى في المواضع التي يمكن الدخول منها الي الوادي ٠

ورغم ذلك ، كان هاينريتشى يعرف انه لن يستطيع ايقاف الروس اية فترة من الوقت ، او يستطيع شن اي هجوم مضاد ، نظرا لانه وزع ما لديه من مصفحات ومدفعية قليلة حتي يعطي لكل وحدة فرصة للقتال ، ولم يكن في استطاعته ان يفعل الا ما يعرف انه ممكن ٠٠ وهو ان يكسب القليل من الوقت ٠

***

لم يصدق زوكوف النبأ لاول وهلة٠٠ كان يقف في مقر قيادته محاطا بأركان حربه عندما حدق في شويكوف ، وهو لا يصدق اذنيه ، ثم انفجر في نوبة غضب قائلا : « ماذا تعني بحق الشيطان بقولك ان قواتك لا تستطيع الحركة ؟ »

وقال شويكوف ان نيران المدفعية الثقيلة من مرتفعات سيلو قد اصابت القوات اثناء زحفها ، ولم تستطع الدبابات الروسية السير في الانهار والمستنقعات فوقفت دون حول ولاقوة ، بينما اصيب عدد منها واشتعلت فيه النيران ٠ وقال شويكوف : ان كتيبة الحرس الثامن لم تتقدم حتي الان غير ١٤٠٠ متر ٠

وقد نفث زوكوف عن غضبه الحبيس بسيل من الالفاظ والعبارات العنيفة ٠

لم يكن لدي المارشال اية نية لان تبطيء قواته زحفها بوساطة عدد قليل من مدافع العدو احسن اختيار مواضعها ، كما انه لم يكن ينوي ان

يهزمه منافسه كونييف في الوصول الي برلين ٠٠ وراح يصدر سلسلة من الاوامر بسرعة ٠ علي اساطيل القاذفات ان تركز غاراتها علي مواقع مدافع العدو ، وان تبدأ المدفعية دق المرتفعات بقنابلها وكانت الخطة الاصلية تقضى بألا تشترك جيوش دباباته في المعركة الا بعد سقوط المرتفعات، ولكن زوكوف قرر الآن ان يلقى بها علي الفور ٠وتصادف ان كان الكولونيل جنرال ميخائيل كاتوكوف قائد جيش دبابات الحرس الاول موجودا في المخبأ ، فتلقى أوامره مباشرة ٠٠٠ ولم يترك زوكوف اي شك فيما يريد : لابد من الاستيلاء علي المرتفعات مهما كان الثمن ٠

وغادر المارشال مقر القيادة يتبعه ضباط اركان حربه ولاتزال مظاهر غضبه واضحة ٠٠ وفي طريق خروجه، التفت فجأة نحو كاتوكوف وقال بسرعة :

ــ حسنا ٠٠ تحركوا !

● في « قلعة » برلين :

كان يبدو وكأن السلطات ليست علي استعداد لمواجهة حقيقة ان برلين معرضة للخطر ٠٠٠ وعلي الرغم من ان الجيش الاحمر لم يكن يبعد الان اكثر من ٥٢ كيلومترا فانه لم يصدر أى امر بالتأهب ، ولم يصدر اي بيان رسمي ، ولكن اهل برلين كانوا يعرفون ان الروس يهجمون ٠٠ وكانت اصوات المدافع التي تشبه هدير الرعد من عاصفة بعيدة هي أول دليل على ذلك ٠٠وانتشرت الانباء من اللاجئين، وعن طريق التليفون ، والكلمات التي تتناقلها الافواه ٠ لم يكن هناك من يعرف حقيقة الموقف بالضبط ، ولكن اغلب أبناء برلين كانوا يعتقدون أن كربة موت المدينة قد بدأت ٠

وكان في استطاعة ــ حتي اقل الناس علما ــ ان يري مدي عدم استعداد المدينة للصمود امام الهجوم٠٠ كانت الطرق الاساسية والطرق العامة لاتزال مفتوحة ٠٠ ولم يكن يبدو للعيون غير عدد قليل من المدافع والعربات المدرعة ، وان كانت هناك بعض المتاريس في الطرقات ، وحواجز دفاع بدائية ، كما كانت هناك لفات من الاسلاك الشائكة في بعض الاماكن وكتل من الصلب المستخدمة عوائق ضد الدبابات ، وسيارات نقل قديمة وعربات ترام غير مستعملة امتلأت بالاحجار وكان المقرر ان تستخدم هذه لسد الطرق الرئيسية عندما تقع المدينة تحت الهجوم ٠٠ ولكن هل تكفى لوقف الروس ؟ ٠٠ كانت هناك نكتة شائعة تتردد يومئذ تقول : « سوف يحتاج الروس الي ساعتين و١٥ دقيقة علي الاقل لاقتحام هذه الخطوط ٠٠ ساعتين في الضحك ،و١٥ دقيقة في تحطيم المتاريس ! »

وفي مقر قيادته في هوهنزلرندام ،وقف الميجور جنرال هيلموث رايمان قائد المدينة امام خريطة حائط ضخمةلبرلين ، ينظر الي خطـــوط الدفاع المرسومة عليها ٠٠ ثم تساءل بعد ذلكقائلا : « ماذا يفترض ان افعله بحق السماء ؟ » وكان رايمان قـــد تلقىتعليمات صارمة من هاينريتشى بألا يقوم بأى تدمير في المدينة ، وان يخرجكل قواته المسلحة من برلين ويرسلها نحو جبهة الاودر ٠٠ وكان رايمانيعتقد انه حتي في الظروف المثالية ، فان الدفاع عن المدينـــة يحتاج الي٢٠٠ الف جنـــدي كاملي التدريب ، خبروا القتال في الميدان ، بينما كانتقوات المشاة التي لديه تتكون من ٦٠ ألفا من رجال الحرس الوطنى القديمغير المـــدربين وكان ثلث الرجال لا يحملون اسلحة والباقون ليسوا افضلحالا ، اذ كان نصيب كل واحد من جنود الحرس الوطني من الذخيرة فياليوم الذي بدأ فيه الهجوم الروسى لا يزيد متوسطه على خمسة أمشاط !

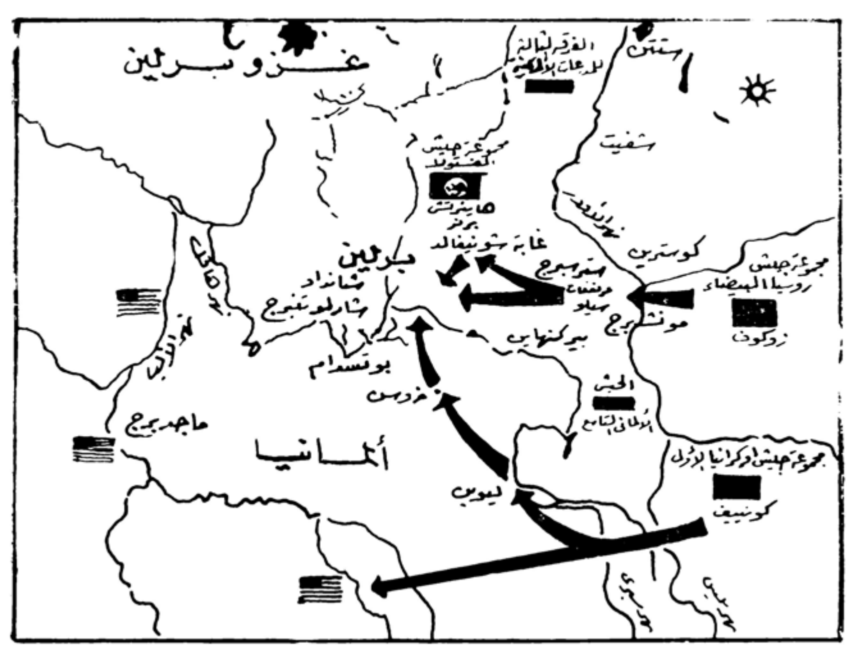
● موسيقى الغناء !

علي الرغم من ان « هاوس داليم »ـ وهـــو الدير ومستشفى الولادة في ويلمرزدورف ـ يكاد يكـــون جزيرةصغيرة في عزلته الدينية ، فان الام الرئيسة كاينجونديس لم تكن تنقصهاالمصادر التي تزودها بالمعلومات ٠٠ وكان نادي الصحافة في داليم الموجودفي فيللا جواكيم فون ريبنتروب وزير الخارجية الذي يقع أمام الدير مباشرةقد أغلق في الليلة السابقة ، وقد عرفت الام الرئيسة من أصدقائها الصحفيينالذين جاءوا لوداعها ، ان النهـــاية أصبحت قريبة ٠

كانت الام الرئيســة ذات العزيمةالقوية تأمل الا يطول القتال ، وكانت احدي طائرات الحلفاء قد سقطت فىبستانها ، بينما نسف سقف ديرها قبل ذلك بأيام قلائل ، وازداد الخطـرقربا ، وفي نفس الوقت كان لديهـــا اكثر من ٢٠٠ شخص تشملهم برعايتهابينهم ١٠٧ من المواليـــد و٣٢ من الامهات و٦٠ راهبة وأختا علمانية ،

ولــا كانت الام الرئيســـة امرأةواقعيــــة ، فقد امرت تلميـــذاتها المرضات بتحويل قاعة الطعام وغرفالتسلية الي مراكز للاسعاف ، بينما قسمت البدروم الي غرف للحضانة ،ومجموعة من غرف صغيرة لحـالات «النفاس» ، وحرصت علي تغطية كلنوافذ المنطقة بالخرسانة وقطع الطوب واكياس الرمل من الخارج ، وهكـذااستعدت لمواجهة ما قد يحدث ٠

ولكن كان هناك شيء واحد فقطلم تكن الام الرئيســـة تعرف كيف تستعد له : لقـد كانت تشاطر الابرنارد هابيتش قسيس الدير خوفه من الاعتداء الذي قد تواجهه النساء منالقوات المحتلة ٠



السباق الاخير الى برلين ··

في وكر للمدفعية علي مسافة ٢٩كيلومترا من الجبهة ، امسك الجنـدي فيلي فيلد مدفعه الضخم المضـــــادللدبابات بقوة ·· وكان فيلي قد أحس بشعور من المغامرة الكبري منذ فترةقصيرة وهو ينتظر ظهـــور الدبابات الروسية في الطريق ، وكان قد فكرفيما سيكون عليه الحال عندما رأى الدبابة الاولي واستطاع ان يطلق مدفعهالمضاد للدبابات لاول مرة ·

ونظر فيلي نحـو الجبهة ، فسمعمرة اخري هدير المدافع ·· وفجـأة أحس ببرودة ، وبدأ يحس بآلام فيمعدته ، وأراد ان يبكي ··· لقـــد استبد الخوف بفيلي فيلد الذي يبلغالخامسة عشرة من عمره !

***

كانت دقات الطبول لا تكاد تسمع·· ورد النفير بأصوات رقيقة ·· وعادت دقات الطبلة المكتومة مرةأخريفأجابت اصوات النفير في بطء ينـذر بالسوء ثم علت اصوات آلات موسيقيةحزينة ، وانطلق اوركســـترا برلين الفيلهارمونيك يعـــزف مقطـــوعة«جوتردا ميرونج» بجلالها المهيب ··

كانت الحـــالة المعنـــوية في قاعةبيتهوفن التي يسودها الظلام تبـــدو محزنة كالموسيقى وكان النور الوحيدينبعث من الاضـــــواء علي منصات موســــــيقى الاوركسترا ··· كانتالبرودة تشيع في القاعة ، وقد ارتدي الناس معاطفهم ، بينما جلس الدكتورجيرهارد فون فيســـــــــترمان مدير الاوركسترا في مقصورة مع زوجتــهواخيه ، وجلس البرت ســبير وزير الرايخ في مقعده المعتاد ·

لقد تخلي ســـــبير في النهاية عنخططه لاغتيال الفوهرر ، وهي أمنية كانت تسيطر علي روحه منذ شهور·وكان قد قال لهاينريتشى فى اليـــوم السابق : « ان هتلر يؤمن بي دائما·· ولن يكون من اللائق عمل ذلك »· ولكن سبير فعل كل ما يستطيع لانقاذأوركسترا برلين العظيم · وقد أرسل قبل ذلك ببضع ساعات رسالة خاصةالى فون فيسترمان ، معلنـــا أن هذه ستكون آخر حفلة يقيمها الاوركسترا·وقد أبلغ المدير ذلك لبعض الموسيقيين الموثوق فيهم ، مجددا عرض ســــبيرنقلهم بعيدا عن منطقـــــــة الخطر · والغريب أن جيرهارد تاشـــــنر عازفالكمانالشاب وأسرته ، وابنة موسيقي آخر هم الذين اختاروا الرحيل وكانواالان في طريقهم الي الامان ·

وأصغى ســبير الي المقطوعة التياختارها بنفسه لتكون اشارة لآخـــر حفل للاوركسترا ، حتي ارتفع هديرالآلات الموسيقية في ختـــــام المقطوعة يصف المذبحـــــة الرهيبة التي دمرت« فالهالا » ·· وبينما كانت الموسيقي الرائعة ذات الانغـــــام الحزينـــة تملأالقاعة ، أحس السامعون بحزن أعمق من أن تبدده الدموع ··

● ستالين على الخط

في قلعة القرون الوسطي علي مقربةمن كوتباس ، تطل على نهر «سبري» كان المارشـــــال ايفان كونييف ينتظراستدعاءه للسفر الي موسكو · ففي صبيحة ذلك اليـــوم ١٧ ابريل ، كانلدي كونييف كل ما يكفل رفع روحه المعنوية ·· لقد انطلق هجومه بسرعةلم تكن متوقعـــة ، علي الرغم من أن القتال كان عنيفـــا وحشيا ·· ومنذاللحظة التي بدأ فيها ، لم يكن كونييف مدفوعا بالرغبة في الوصول الي برلينقبل زوكوف فحسب ، بل بالســـرعة غير المنتظرة من حلفـــاء الغرب الذينأصبحوا الان علي مسافة ٤٠ ميلا فقط من المدينة · وفكر كونييف في احتمالوقوع أمر من اثنـــــين : ان قوات أيزنهاور قد تحـــاول الوصـــول اليالعاصمة قبل الجيش الاحمر ، أو أن الالمان قد يحاولون عقد معاهدة صلحمستقلة مع حلفاء الغـــرب ·· وكانت مخاوفه بطبيعة الحال لا أساس لها ،فان الزحف الامريكي علي برلين كان قد توقف بصورة دائمة علي نهر الالببأوامر من أيزنهاور ·

كانت دبابات كونييف قد عبرت نهرسبري الان وأخذت تقترب من«ليوبين» النقطة الاخيرة لخط الحـــدود الذي رسمه ستالين ليفصل جبهـة زوكوف عن جبهة كونييف ، وقد حان الوقت لكي يطلب من ستالين الاذن بجعـل دباباته تتجه شمالا صوب برلين ٠

وسلم أحد مســاعدي كونييف آلةالتليفون اللاسلكي ، بعد أن تم الاتصال بموسكو ٠ وبعد تبـــادل الشكليات العسكرية ، أوضـــح كونييف مركزه التاكتيكي محددا وضـــعه بالضبط ثم قال : « انني أقـــترح أن تزحف تشكيلاتي المدرعة فورا في اتجـــاه شمالي » وقد تفادي ذكر برلين بالاسم في اقتراحه ٠

وقال ستالين : «ان زوكوف يواجه وقتا عصيبا ٠ انه مازال يقتحم خطوط الدفاع علي مرتفعات سيلو » ٠

وسادت فترة ســـكوت قصيرة ثم قال ســـتالين : « لماذا لا تتجاوز مصفحات زوكوف من خــلال الفجوة التي نشأت في جبهتك ، وتدعه يتجه من هناك الي برلين ؟

فقال كونييف بسرعة : « ايهــا الرفيق ستالين : سيستغرق ذلك وقتا كثيرا ويسبب اضطرابا عظيما ٠٠ ان عندي قوات كافيـة ، ونحن في وضع ممتاز لكي نوجه جيوش دباباتنا نحو برلين » ٠

وساد السكوت مرة أخـــري ٠٠وأخيرا قال ستالين :

ـ حسنا جدا ٠٠ انني موافق ٠٠أدر جيوش دباباتك نحو برلين ٠

وأضاف ستالين قائلا انه سيضع خطوطا جديدة للحدود بين الجيوش ٠

وفجأة أعاد السماعة الي مكانها٠٠وأعاد كونييف ســـماعته أيضا الي مكانها وقد أحس بارتياح عظيم ٠

***

علم زوكـوف بزحف كونييف علي برلين من ستالين نفسه ٠٠ ولا يعرف أحد ماذا دار بينهما ، ولكن ضـباط مقر القيادة استطاعوا أن يروا آثاره علي وجه القائد ٠ وقد ذكر الكولونيل بافيل ترويانوسكى فيما بعد : « لقـد توقف الهجوم ووبخ ستالين زوكوف»

ووصف الجنرال بوبيل حالة زوكوف الذهنية في ايجــاز فقال لزملائه من أعضاء أركان الحـــرب : « كان بين أيدينا أسد » ٠٠ ولكن الاسد لم يعد يظهر مخالبه ٠٠ وقد سقطت مرتفعات سيلو في تلك الليلة ٠ وأصدر زوكوف أمره الي مجموعة الجيش الاول لروسيا البيضاء كلها قائلا : « والان ٠٠ خذوا برلين » ٠

● اطفال فى الحرب !!

كانت الفوضي قد بدأت تجتـــاح الخطوط الالمانية ·· وكان العجز باديا في كل مكان : افتقار خطير لوســائل النقل ، واختفاء شـــبه تام للوقود ، وطرق مزدحمـــة باللاجئين تجعـــل تحركات القـــوات علي نطاق واسع شـــبه مستحيلة · وكانت شـــبكات المواصــلات قد اضطربت ، والاوامر كثيرا ما تصبح قديمة بعد أن تصـل الي وجهاتهـــا ·· وازدادت الفوضي تعقيدا عندما وصـــل الضباط ليتولوا القيادة فاكتشفوا أن وحداتهم قد أبيدت فعـــلا ·· وعلي طول أغلب الجبهة ،كانت مجموعة جيش الفيستولا تتمزق اربا ·· تماما كمـــا كان يخشى هاينريتشى ·

***

وفي القطاع الذي يقف فيه فيلي فيلد الذي لم يتجـاوز الخمسة عشر عاما مع المائة والثلاثين غلاما الذين تضمهم فصيلته ، كانوا قد أصبحوا في حالة يائسة ، فتراجعوا شذر مذر، وأخيرا حاولوا الصمود في خط تحت حمـاية بعض الخنادق والمخـــابىء ·· وفي النهاية تمدد فيلي الذي أرهقه الخوف فوق مقعد خشبي طويل في المخبأ خلال فترة هدوء من القتال ، واستغرق في النوم ··

واستيقظ بعد بضع ساعات يساوره احساس عجيب بأن شيئا ما قد اختل وسمع صوتا يقول : « انني أتساءل عما حـــدث ·· ان السكون يسود المكان ·· »

وهرع الفتيان الي خارج المخبأ ،فواجههم «مشهد غريب لا يصـــدقه العقل » · كانت الشمس ســاطعة ،والجثث تملأ كل مكان ، بينما تحولت المنازل المحيطـــة بهم الي أنقاض ،ومازالت هناك أعداد كثيرة من السيارات المحطمة لا تزال تشتعل فيها النيران،وكانت أسوأ صـــدمة ، هي القتلي الذين تكدسوا في أكوام عالية في هضبة غريبة ، وبنادقهم ومدافعهم المضــادة للدبابات ملقاة الي جوارهم ··

كان المشهد يثير الجنون ·· وأدرك الاولاد أنهم أصبحوا وحيدين !
لقد ناموا طوال الهجوم كله !

***

استيقظ هتلر في الحادية عشرة من صباح ٢٠ ابريل ــ يوم عيـد ميلاده السادس والخمسين ــ وقد ظل يتلقي تهاني عصبته المقربة اليه منذ الظهيرة وكان بينهم جـــوزيف جوبلز ومارتن بورمان ، وجـــواكيم فون روبنتروب وألبرت سبير ، وجاء بعدهم المسئولون عن منطقة برلين ، وموظفو مقر هتلر والسكرتيرون ·· وعنـدما بدأ هدير المدافع يسمع من بعيد، خرج الفوهرر

من المخبأ تتبعه حاشيته • وهناك فيحدائق دار المستشارية التي خربتها القنابل ، تفقد هتلر جنودا منوحدتين : فرقة فروندزبرج لرجال العاصفة ، ومجموعة قليلة من الشباب الهتلري •

وذكر أحد المراقبين بعد ذلك بفترةطويلة أن الجميع قد ذهلوا لمظهر الفوهرر • كان يسير في انحناء ويداهترتعشان ، ومع ذلك فقد أثار دهشتهم مدي قوة الارادة والعزيمة التي لاتزالتشع من عيني هذا الرجل •

وسار هتلر أمام طابور جنودالعاصفة وصافح كلا منهم ، ثم تنبأ في ثقة بأن العدو سوف يهزم قبل أنيصل الي مداخل برلين •• وكان هنريتش هملر رئيس فرق العاصفةينظر الي هتلر !

كان هملر يجتمع سرا بالكونتفولك برنادوت رئيس الصليب الاحمر السويدي منذ يوم ٦ أبريل ، ليجسالنبض بشأن امكان التفاوض في شروط الصلح مع الحلفاء • ولكنهالان تقدم للامام ، وأكد من جديد ولاءه لهتلر ، مع أنه كان مقررا أنيجتمع ببرنادوت مرة أخري في خلال ساعات قليلة !

وبعد مراسم التفتيش ، بدأ مؤتمرهتلر العسكري • وتولي الجنرال هانز كروب رئيس القيادة العليالجيش عرض الموقف بايجاز ، رغم أن الجميع كانوا علي علم به •• قالان برلين ستحاصر خلال أيام قليلة ان لم يكن بعد ساعات • وبدت نقطةواحدة واضحة أمام مستشاري هتلر العسكريين : ان الفوهرر ومصالحالحكومة الحيوية يجب أن يغادروا العاصمة فورا •

وكانهاينريتشي قد طلب اليكريبسأن يبذل كل جهده لاقناع هتلر بالرحيل •

ولكن هتلر رفض أن يعترف بأنالامور بلغت هذا الحد من الخطورة •• ومع ذلك فقد قبل أن يقدم تساهلاواحدا : وهو أنه في حالة اتصال الامريكيين والروس عند نهر الالب ،فان قيادة الرايخ في الشمال يجب أن يتولاها الاميرال كارل دونيتز ، وفيالجنوبالفيلد مارشال ألبرت كيسلرنج وفي نفس الوقت منحت تفويضاتلمختلف الهيئات الحكومية للرحيل •

لم يكشف هتلر عنخططه الخاصة،ولكن ثلاثة أشخاص علي الاقل من الموجودين في المخبأ كانوا علي ثقة منان هتلر لن يترك برلين أبدا • كانت السيدة جرهاذا ولف ـ احديسكرتيراته ـ قد سمعته يقول « انه سوف ينتحر اذا أحس أن الموقف لميعد من الممكن انقاذه » وكان الكولونيل

نيكولاوس بيلو ياور هتلر الجـــــوي يعتقد أن الفوهرر قد عقد عزمه علي البقاء في برلين والمـــوت هناك » أما الجنرال الفريد يودل رئيس عمليـات هتلر فقد أبلغ زوجته أن هتلر قال له في حديث خاص : « يودل ٠٠ سأقاتل ما قاتل المخلصون الى جواري ٠٠ وبعدئذ سأطلق النار علي نفسى» ٠

● الخروج الكبير يبدأ٠

في يوم ٢٠ أبريل عرف الكثيرون من أبنـــاء برلين خطورة الموقف من حدث واحد: لقد أقفلت حدائق الحيوان أبوابها ، فقد توقفت الكهرباء هناك في الساعة العاشـــرة والدقيقة الخمسين بالضبط مما جعل سحب الماء اليهـــا مستحيلا ٠ وكان الحـــراس يعرفون أن حيوانات كثيرة ستموت بكل تأكيد ـ ولاسيما أفراس النهر في أحواضها ـ وتساءل هاينريتشى شـفارتز حارس الطيور كيف سيستطيع طائر « أبومركوب» النادر أن يعيش بدون ماء ـ وكان شـــفارتز قد نقل الطائر الذي يموت جوعا ببطء ، الي غرفة الحمام الخاصة به ٠٠ وقرر شفارتز أن ينقل دلاء الماء الي الطائر حتي ينهار ٠٠ ولم يشمل قرار الرجـــــل الذي يبلغ الثالثة والستين أبو مركوب وحده ، بل و «روزا» أيضا فرس النهر الكبير وصغيره كنوتشك الذي يبلغ العامين٠

كان أغلب رجال الحكومة قد غادروا برلين ، ولكن الخروج الكبير بدأ الان٠ وأصدر مكتب قائد منطقة برلين أكثر من ٢٠٠٠ ترخيص بمغادرة العاصمة٠

وفي عيادات طب الاسنان رقم ٢١٣ شـارع كورفورستندام ، تلقت كاثى رايس هوسرمان مكالمة تليفونيـة من رئيسها البروفسور هوجو بلاشـــكه كبير أطباء الاسنان لزعماء النازي ٠٠ وكان بلاشكه قد أخبرها قبل ذلك بأيام أنه يتوقع أن « ترحـــل جماعة دار المستشارية في أي يوم ، واننا سنذهب معهم » ولكن كاثى قالت له انهـــا ستبقي في بلين ٠٠

وفي هذه المكالمة كان بلاشكه مصرا علي موقفه ٠٠ قال انه سيرحل علي الفور وطلب منها أن تحزم حقائبهـا وترحل ٠٠ ثم قال : « ان جماعة دار المستشارية وعائلاتهم يرحلون الان ٠٠» ولكن كاثى ظلت علي عنـــادها ٠٠ وأخيرا قال بلاشـكه : « حسنا ٠٠ ولكن تذكري ما قلتـــه لك » ثم أعاد سماعته الي مكانها ٠

وفجأة تذكرت كاثى شـــيئا كان بلاشكه قد طلب منها أن تفعله قبـل ذلك بأيام ٠٠ قال لهـا انه اذا غادر المدينة وبقيت هي ، فان عليهـــا أن تحذر أحد أصدقائه وتقول له ان كبار النازيين يهـربون ٠٠ ولم تكن كاثى

تعرف شيئا عن صديق بلاشكه فيماعدا أن اسمه هو «البروفسورجالفيتز» أو جارفيتز • وكان بلاشكه قد أعطاهارقم تليفونه فقط ••

وأدارتكاثى الرقم، وعندما سمعتصوت رجل يرد ، ذكرت له جملة بالشفرة كان بلاشكه قد أعطاها لهاوهي : « لقد أزيل الجسر ليلة أمس»

وفي تلك الليلة ، جلس البروفسورأرنست جارفيتز رئيس الصليبالاحمر الالماني وصديق هنريتش هملر ،يتناول عشاءه مع أسرته ، وعندما جلس الجميع أمام المائدة، مد جارفيتزيده فنزعالسامير من قنبلتين يدويتين، ونسف نفسه وأسرته* !

● كابوس مفزع

كان الصوت علي غير ما عهدهأهل برلين من قبل •• صوتا لايشبه صفير القنابل الساقطة ، أو فرقعةالطلقات المضادة للطائرات • وأصغى الجمهور الذي يصطف في طابور خارجمتجر كارشتاد بميدان هيرمانبلاتز واستولت الحيرة عليهم ، كان هناكصوتعويل منخفض يأتي من مكان ما علي مسافة بعيدة ، ولكنه يزداد علوابسرعة ، حتي أصبح صراخا رهيبا يخرق الآذان •• وبدا طابور الجمهورلحظة وكأنه تحت تأثير التنويم المغناطيسى•• وفجأة تفرقتالصفوف،وتبعثر الذين كانوا يقفون فيها •• ولكن الوقت كان قد فات، فقد تساقطتقذائف المدفعية ــ وهي أول قنابل تصل الي المدينة ــ وانفجرت في أنحاءالميدان • وتناثرت أجزاء من الجثث علي واجهة المتجر •• وتساقط الرجالوالنساء علي أرض الشارع يصرخون ويتلوون في ألم • كانت الساعة قدبلغت الحادية عشرة والنصف من صباح السبت ٢١ ابريل •• لقدأصبحت برلين هي خط الجبهة الامامي !

وراحت ألسنة اللهب تتراقص منأسطح المباني في كل أنحاء الجزء الاوسط من المدينة • وانهارت المبانيالتى سبق أن زعزتها قنابل الطائرات، بينما عادت النار تشتعل مرة أخريفي « القصر الملكي » الذي تحول من قبل الي حطام ، وكذلك حدث في مبنيالريشستاغ (البرلمان) • وأخذ الناس يجرون في هلع علي طول شارع«كورفورستندام» والحزم تتساقط من أيديهم ، وهم يخرجون في جنون منباب الي باب •• وفي الطرف الاخر من الشارع كانت هناك حظيرة خيولأصيبت بضربة مباشرة • واختلطت صيحات الحيوانات بصرخات الرجالوعويل النساء • وبعد لحظة ، انطلقت

---

* ذكر احد الشهود فى محاكمات نورمبرجان جارفيتز قد سمح باجراء تجارب علىنزلاء معسكرات الاعتقال .

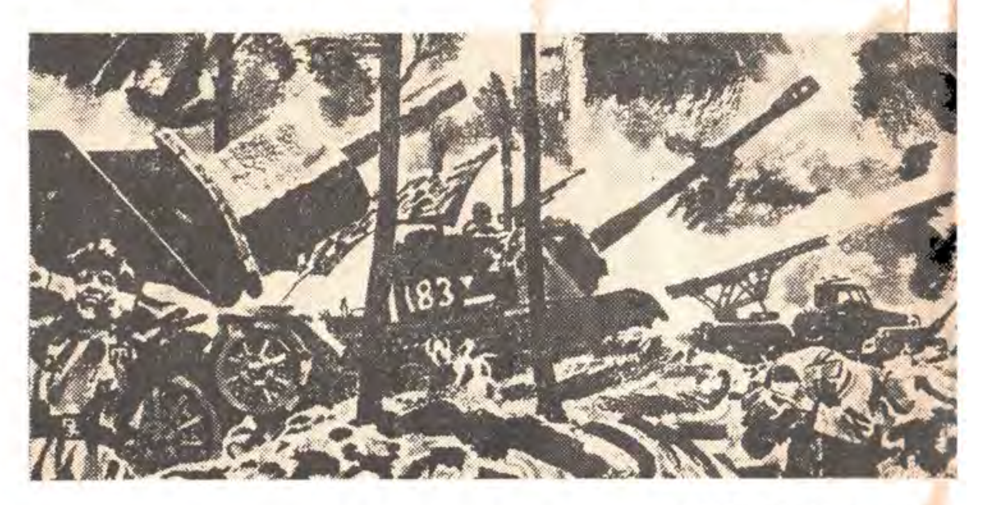


كانت القذائف تطلق دون تصو

الخيول التي مازالت حية ، وخرجتمن جحيم النار في الحظيرة واندفعت في الشارع والنيران مازالت عالقـــةبذيولها واعرافها !

لم يكن لضرب المدفعيـــة المستمربلا رحمة أي أسلوب معين ٠٠ كانت القذائف تطلق دون تصويب ولا هدف٠٠ بلا انقطاع ، واشـــتركت قنابل مدافع المورتر في زيادة محنة الاهالي٠٠ وأمضى أكثر الناس أغلب وقتهم في الاقبية والمخابيء من الغـــــاراتالجوية ، ومحطات المترو ، ففقدوا كل احساس بالزمن ٠

ان أهالي برلـــــين الذين كانوايسجلون مذكراتهم اليومية بدقة حتي يوم ٢١ أبريل، اختلطتعليهم التواريخفجـأة ٠٠ كتب الكثيرون أن الروس كانوا في وسط المدينة يوم ٢١ أو ٢٢ابريل ، بينما كان الجيش الاحمـــر لايزال في الضواحى ، وكثيرا ما كانهذا الخوف من الروس يزداد شـدة بسبب شعور معين بالذنب ٠٠ لقـدكان بعض الالمـــان ـ علي الاقل ـ يعرفون الطريقة التي كان الجنـــودالالمان يتصــــرفون بها في الاراضي الروسية وعن الجـــرائم الرهيبة التيكانت ترتكب في معسكرات الاعتقال ،



ب ولا هدف ٠٠ وبلا انقطاع !

وكان الروس كلما ازدادوا قربا ، خيمعلي برلين كابوس مرعب لم تشعر به أية مدينة من قبل منـــذ عهد دمارقرطاجنة الشامل ٠

● دراسة فى الجنون :

بدأ المؤتمر العسكري المعهـــود فيمخبأ الفوهرر في الثالثة بعد ظهر ٢٢ ابريل ٠٠ ولم يسبق قط أن عقد مثلهذا الاجتماع ٠٠ لقد أخذ هتلر يندد بقواده ومستشـــاريه وجيوشه ٠٠وأهل ألمانيا جميعا في سيل هائج من الشتائم والسباب ٠٠ وقال ان النهايةقد حانت ٠٠ ان كل شيء يتهاوي ، وهو لم يعد قادرا علي الاستمرار ،لقد قرر أن يبقي في برلين ، وسيتولي بنفسه الدفاع عن المدينـــة ٠٠ وهوينوي في اللحظة الاخـــيرة أن يطلق الرصاص علي نفسه ٠

وحاول كل الموجودين أن يقنعــواالفوهرر ، الذي أصابه الخبل تقريبا، بأن كل شيء لم يضع بعــد ، وأنهيجب أن يبقي متوليـــا أمر الرايخ ، ويجب أن يغـــادر برلين اذ أنه منالمستحيل ممارســة أية قيـــادة من

العاصمة بعد ذلك . ولكنه رفض ذلك بقسوة .. قال انه سيبقي في برلين، ويستطيع الاخـــرون أن يذهبوا الي حيث يشاءون .

وطلب الفيلد مارشال فيلهلم كيتل ـ رئيس أركان حـــرب هتلر ـ أن يتحـــدث مع الفوهرر علي انفراد ، فأخليت غرفة الاجتماع.. وقال كيتل لهتلر أنه يري أن هناك طريقين مازالا مفتوحين : « تقديم عرض بالاستسلام قبل أن تصبح برلين ميدان معركة » أو :« الطـــيران الي بر ختشجادن ويبدأ المفاوضات من هناك علي الفور»

ويقول كيتـــل أن هتلر لم يتركه يواصل حديثه بل قاطعه قائلا « سوف أدافع عن المدينة الي النهاية . أما أن أكسب هذه المعـــركة لعاصمة الرايخ أو أسقط كرمز للرايخ » .

وسرعان ما بدا واضـحا أن هتلر كان يعني كل كلمة قالها .. لقـــد أمضى ساعات يختار الوثائق والاوراق التي ستؤخذ الي الفناء وتحرق ، ثم بعث يستدعى جوبلز وزوجته وأطفاله .. انهم سيبقون معه في المخبأ حتي النهاية » .

كان ازدراء جوبلز للخونة والجبناء يكاد يماثل غضب هتلر عليهم . وكان في اليوم الســـابق لثورة الفوهرر قد دعا موظفي وزارة الدعاية التي يرأسها وقال لهم « لقد اختار الشعب الالماني مصيره بنفسه ، انني لم أجبر أحدا علي العمل معي .. لماذا عملتم معي؟.. ان رقابكم الصغيرة سوف تقطع الان !.. ولكن صدقوني أننا عندما نرحل فان الارض سوف تهتز » .

ووفقا لمقاييس هتلر ، فان الالمـان المخلصين هم فقط أولئك الذين ينوون الان الانتحار ودفن أنفسهم في قبورهم بأيديهم .. وفي ذلك المســاء نفسه ، كانت جماعات من جنود العاصفة تفتش البيوت بحثا عن الهاربين من الخدمة العسكرية ، وكان عقابهم سريعا .. ففي ميدان الكسندر بلاتز القـــريب شاهدت ايفا نوبلوتش ـ ١٦ سنة ـ جثة أحد جنود الجيش الشبان معلقة من أحد أعمدة النور وقد ربطت بطاقة بيضاء كبيرة بســـاقيه كتب عليها : « أنا خائن .. لقد تخليت عن شعبى» وفي تلك الليلة .. ليلة ٢٢ أبريل كانت جيـــوش كونييف قد حطمت خطوط الدفاع الجنوبيـــة لبرلين ، وسبقت زوكوف الي العــاصمة بأكثر من يوم كامل .

● نهاية خرافة !

عندما بزغ فجر ٢٣ أبريل ، تسلل ثلاثة من الالمان عبر نهر الالب عنـد ماجدبرج وسلمـــوا أنفسهم للفرقة الثلاثين مشاة التابعة للجيش الامريكي .. كان أحدهم هو الجـنرال كورت ديتمار ـ ٥٧ سنة ـ وهو ضـــابط الجيش الالمـــانى الذى كــان يذيع آخر الانباء من الجبهة كل يوم ، والذي كان معروفا في أنحـــاء الرايخ باسم« صوت القيادة العليا الالمانية » .

كان ديتمار الذي يعتبر أكثرالمذيعين العسكريين الالمان دقة ، له مستمعون كثيرون - لا في ألمانيافحسب - بل بين موظفي الاستماع التابعين للحلفاء ، وقد أخذ علي الفورالي مقر قيادة الفرقة الثلاثين لاستجوابه ، ،وهناك أدهش ضباطالمخابرات بقطعة واحدة من المعلومات: قال في لهجة حاسمة ان هتلر فيبرلين ٠

كان نبأ مشجعا للحلفاء ٠٠ فحتيالان لم يكن هناك من يعرف مكان هتلر علي وجه التأكيد ، وقد وضعتهأغلب الشائعات في القلعة القومية ، بينما حذرت تقارير المخابرات بأن هذهالقلعة التي تغطي أكثر من ٥٠ ألف كيلومتر مربع في الجبال جنوبميونيخ ، المكان الذى سيقف فيه هتلر وقفته الاخيرة وكانت ضرورةتحطيم القلعة من العوامل الكبري التي أدت بأيزنهاور الي اتخاذ قراره بعدمالضغط للاستيلاء علي برلين ٠

وسأله البعض : « حدثنا عن هذهالقلعة القومية » ٠٠ فبدت الحيرة على ديتمار وقال أن هناك جيوبالمقاومة في الشمال « بينها الدنمرك والنرويج » وهناك جيب في جبالالالب الايطالية ٠٠ وعندما ضيق عليه مستجوبوه الخناق هز ديتمار رأسهوقال : » القلعة القومية ؟ .. أنها خرافة ! » ٠

وكان هذا هو كل شيء ٠٠ وقدكتب الجنرالعمر برادليقائدمجموعة الجيش الثاني عشر فيما بعد يقول :« ان القلعة القومية كانت توجد الي حد كبير في خيال عدد قليل منالنازيين المتعصبين ٠ وهي خطة يدهشني أننا صدقناها ببراءة تامة ٠ولكن في الوقت الذي كانت فيه هذه الاسطورة قائمة ، كان لها أثرها عليتشكيل تفكيرنا التكتيكي » ٠

● سلب ونهب فى الشوارع

وبدأت برلين تحتضر ٠٠ لقدتوقفت خدمات الماء والغاز في أغلب الاماكن ، وبدأت الصحف تغلقأبوابها ، بينما توقفت كل سبل النقل داخل المدينة بعد أن أصبحت الشوارععسيرا اختراقها ، وعجزت المركبات عن الحركة ٠٠ وفي يوم ٢٢ ابريلأقفل مكتب التلغراف الذي يبلغ عمره ١٠٠ عام ببرلين أبوابه لاول مرة فيتاريخه ٠٠ وكانت آخر برقية تلقاها من طوكيو تقول : « نتمني لكم جميعاحظا سعيدا » !

ولما كان البوليس قد أصبح يخدماما في الجيش أو الحرس الوطني ، فان الناس بدأوا ينهبون ويسلبون ٠٠حطمت قطارات البضاعة الواقفة فى ساحات تجمعها في وضح النهار ،وقدم كثيرون من أصحاب المتاجر المؤون للناس ببساطة بدلا من أن يحطمالغوغاء متاجرهم ٠٠ وفي حانة «كاسباري» الواقعة علي ناصية شارعهندبرج شتراسة لم يستطع الكسندر

كيلم أن يصدق عينيه : لقد كانت زجاجات النبيذ تمنح لكل القادمين بلا مقابل ..

ولكن حتي بالنسبة للسالبين ، لم يكن هناك أى لحم يستطيعون الحصول عليه في المدينة . وبدأ الناس في كل أنحاء برلين يشتاقون الي لحم الجياد التي كانت ملقاة علي الارض بعد أن صرعتها قذائف المدافع .

وفي متجر « كارستاد » للملابس .كانت النساء يخطفن المعاطف والفساتين والاحذية والاغطية والاقمشة .. ولم يكن هناك أحد من موظفي البيع ، ولكن واحدا من المراقبين القلائل الباقين كان يصيح بين حين وآخر : «اخرجوا .. اخرجوا .. ان المتجر سوف ينسف ! » ولم يهتم أحد بالاصغاء اليه ، فقد كان واضحا تماما أنها خدعة ..

وبعد ظهر ذلك اليوم ، اهتز المتجر الكبير عندما مزقته المفرقعات اربا .. ان رجال فرق العاصفة ـ الذين قيل أنهم خزنوا ما يساوي ٢٩ مليون مارك من المؤن في بدروم المتجر ـ قرروا أن ينسفوا المتجر كله حتي لا يحصل الروس علي هذا الكنز ..وقتل في الانفجار عدد من النساء والاطفال .

● الروس الاوائل

أحدث الروس ثغرة في الحلقة الخارجية لخطوط الدفاع عن المدينة ، ثم شقوا طريقهم داخل الحلقة الثانية.. كانوا يجثمون خلف الدبابات والمدافع ويقاتلون في الشوارع والطرق والميادين وخلال الحدائق العامة .. وقد تقدم الهجوم ، القوات الهجومية التي حنكها القتال التابعة لجيوش كونييف ، وحرس زوكوف ، ومعهم جنود أربعة جيوش كبري للدبابات ، وخلفهم طابور وراء آخر من جنود المشاة .

كانوا نوعا عجيبا من الجنود ..جاءوا من كل جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتي وكانت هناك لغات ولهجات عديدة تتردد بينهم حتي ان الضباط كثيرا ما كانوا يعجزون عن التخاطب مع عناصر من جنودهم .. وكان بين الصفوف ، جنود من أوكرانيا ، وجورجيا ، والقوزاق ، وجزر كاريل ، وأرمينيا وأزربيجان ،وبشكير والتتار، والمغول، وقازاخستان .. بعضهم يرتدي زيا عسكريا ذا لون بني داكن ، والبعض يرتدي زيا خاكيا أو أخضر مشوبا باللون الرمادي . وغيرهم يرتدي بنطلونات سوداء ، وسترات ذات ياقات مرتفعة حتي العنق ، وكذلك كانت أغطية الرؤوس تتباين وتختلف : طراطير من الجلد ذات أغطية بارزة للاذنين وقبعات من الفراء ، وطواقي خاكية ملوثة بالعرق .. جاءوا علي ظهور الخيل وعلي الاقدام .. في سيارات،وفي عربات تجرها الجياد ، واستولوا علي مركبات من كل نوع .. وألقوا جميعا بأنفسهم علي برلين .

أوقف بائع اللبن ريتشاردبوجونوفسكا عربته ، وفغر فمه دهشة وهو يري خمس دبابات روسية تهدرفي الشارع٠ وأدار بوجانوفسكا عربته وعاد بها الي مزرعة ألبان (دوماني‒واليم) ، وهناك انضم الي أسرته في القبو ٠٠

وانتظروا بعض الوقت ٠٠ وفجأةفتح الباب بقوة ودخل جنود الجيش الاحمر ٠٠ ونظروا حولهم في صمتثم انصرفوا ٠٠ وبعد فترة قصيرة عاد جنود كثيرون وأمروا بوجانوفسكاوغيره من المستخدمين بالذهاب الي مبني الادارة٠٠وبينما كان بوجانوفسكاينتظر لاحظ أن كل الخيول قد اختفت، ولكن الابقار لاتزال هناك ٠٠ وأمرضابط روسى يتكلم الالمانية بطلاقة كل الرجال بالعودة للعمل ٠٠ كان عليهم أن يعنوا بالحيوانات وحلب الابقار ٠٠ ولم يصدق بوجانوفسكاما يراه ٠٠ لقد كان يتوقع أسوأ من ذلك بكثير ٠

وخرجت ماريان بومباخ من قبوهافي شارع فيلمرز دورف ورأت مطبخ ميدان روسى يقام في الخارج أمامبابها الخلفي مباشرة ٠ كان الجنود يشاطرون أطفال الجيران طعامهموحلواهم ٠ وتأثرت ماريان بسلوكهم٠ كانوا قد قلبوا بعض صفائح القمامةواستخدموها كموائد ٠ وكانت كل منها مغطاة بمفارش أخذت كما يبدومن الفيللات القريبة ٠٠ وفيما عدا صداقتهم للاطفال ، فان الروس بدا نهم يتجاهلون المدنيين وبعد أن مكثوا بضع ساعات ، رحلوا ٠٠

لقد ادهش نظام وسلوك القواتالاولي كل انسان تقريبا ٠ وقال الصيدلىهانز ميد أنه لاحظأنالجنودالسوفيت كانوا يتحاشون اطلاق النار داخل البيوت الا اذا كانوا علي ثقةمن ان المدافعين الالمان يختبئون فيها ٠٠ وفي منطقة ويلمرز دورف ، كانتايلزي آنتز ـ التي كانت تعتقد دائما ان أهل برلين سيلقى بهم طعاما للروس ـنائمة في بدروم منزلها عندما دخل اول جندي روسى ٠٠ واستيقظتوحدقت فيه بهلع ، ولكن الجندي الشاب الاسود الشعر ابتسم لها وقالفي ألمانية ركيكة : « لماذا تخافين ؟ ٠ ان كل شيء علي ما يرام الآن ٠٠عودي للنوم »

***

اذا كانت الام الرئيسة كاننجونديسقد ساورها اي خوف ، فانه لم يظهر علي وجهها الهاديء المستدير ٠٠٠كانت المعركة تدور من حول « هاوس داليم » وكان المبني يهتز كلما اطلقتالدبابات نيرانها ٠٠ وحتي في القبو الذي امتلأ بأكياس الرمل ، كان منالمكن الاحساس بالهزات المتتالية ٠ ولكن الام الرئيسة لم تلق بالا للمدافعوالقذائف ٠٠ كانت تصلي في غرفة الطعام الصغيرة التي تحولت الان اليكنيسة ٠

وبدا ان ضجيج المعركة قد تلاشىبرهة ، وظلت الام الرئيسة راكعة علي ركبتيها الي ان اقبلت احدي الاخوات الى الكنيسة وهمست قائلة لها : « الروس ... انهم هنا »

ونهضت الام الرئيسة في هدوء وتبعتها بسرعة حيث التقت بعشرة من الجنود يتزعمهم ملازم شاب ، وسرعان ما ارسلت تستدعى (لينا) الطاهية وهي من اهل اوكرانيا لكي تعمل كمترجمة ، وقال الملازم انه يلاحظ ان الام الرئيسة تبدو ذكية جدا وان سلوكها كان ممتازا .

وسألها عن « هاوس داليم » فقالت الام كاننجونديس انه دار للولادة ومستشفى وملجأ للايتام .. فسألها :« اهناك اي جنود او اسلحة هنا ؟ » فقالت : « كلا .. كلا بطبيعة الحال » وبدأ بعض الجنود يطلبون الساعات والحلي ولكن الملازم تحدث اليهم بحدة ،فتراجع الجنود وخجلوا .

وقالت الام الرئيسة عندئذ للضابط الشاب ان « هاوس داليم » في حاجة الى بعض ضمانات الحماية بسبب من فيه من اطفال وامهات حوامل ، وراهبات .. فهز الملازم كتفيه فان كل ما كان يهمه هو تطهير المنطقة من الاعداء ، ومواصلة الزحف .

● لايمكننا القبول :

وفي بافاريا وجد مارشال الرايخ هيرمان جورنج نفسه فى موقف حرج: لقد كان معتقلا في منزله بواسطة حرس العاصفة .

كان الجنرال كوللر رئيس اركان حربه قد طار الي بافاريا ليقابل جورنج بعد المؤتمر المشئوم الذي عقده هتلر في ٢٢ ابريل ، وعندما تلقى المارشال جورنج تقرير كوللر بأن هتلر اصيب بانهيار. وانه قال : «عندما يصل الامر الي التفاوض فان جورنج يستطيع ان يفعل أحسن مني » رد جورنج بارسال برقية صيغت كلماتها بعناية الي هتلر قال فيها :

« سيدي الفوهرر .. نظرا لقرارك بالبقاء في قلعة برلين ، هل توافق علي ان اتولي علي الفور الزعامة الكلية للرايخ ؟ اذا لم اتلق ردا قبل العاشرة من مساء اليوم فسأعتبر انك فقدت حريتك في العمل واتصرف لصالح وطننا وشعبنا .. »

وتلقى جورنج ردا سريعا ، لقد أمر هتلر بارسال برقية يتهمه بالخيانة العظمي ، ويعلن انه سيأمر باعدامه اذا لم يستقل فورا . وفي مساء ٢٥ ابريل ذكر راديو برلين ان الفوهرر اجاب جورنج الي طلبه باعفائه من قيادته .

وقال جورنج لزوجته اميلي انه يعتقد ان المسألة كلها تدعو للسخرية ، وانه في النهاية سيكون مضطرا للتفاوض علي أي حال .. وقالت زوجته فيما بعد للبارونة فون شيراش ان جورنج كان يتساءل : « اي ثوب عسكري يجب ان يرتديه عندما يقابل ايزنهاور لاول مرة ! »

***

بينما كانت برلين تحترق ، كان الرجل الوحيد الذي لم يشك هتلر قط في خيانته ، قد تجاوز فعلا ما فعله جورنج للاستيلاء علي السلطة ... ففي يوم ٢٥ ابريل استدعى الجنرال جورج مارشال رئيس اركان حرب القوات الامريكية الي مكتبه بوزارة الدفاع في واشنطون الجنرال ادوين هال رئيس اركان حرب العمليات بالجيش الامريكي بالنيابة وابلغه مارشال ان الرئيس ترومان في طريقه الي البنتاجون (وزارة الدفاع) للتحدث مع ونستون تشرشل تليفونيا . وكان الحلفاء قد تلقوا عرضا امريكيا للتفاوض عن طريق الكونت فولك برنادوت رئيس الصليب الاحمر السويدي ... وقد جاء جس النبض من أجل الصلح من الشخص الذي كان هتلر يثق فيه ثقة تامة : هنريتش هملر !

ووصل ترومان .. وفي الثالثة بعد الظهر تحدث مع رئيس وزراء بريطانيا من غرفة التليفون بالبنتاجون . وتلا تشرشل الرسالة التي تلقاها . وقال لترومان ان هملر يريد مقابلة الجنرال ايزنهاور والاستسلام . ولكن كان واضحا ان رئيس فرق العاصفة يرغب في ان تستسلم ألمانيا لحلفاء الغرب فقط لا للروس .. وسمع هال ـ الذي كان يستمع من تليفون آخر ـ تشرشل يقول : « حسنا .. ما رأيك ؟ »

وأجاب الرئيس الامريكي الجديد ـ الذي لم يمض عليه في منصبه غير ١٣ يوما ـ بلا تردد :

« لا يمكننا ان نقبل ذلك .. انه امر شائن لاننا اتفقنا مع الروس علي الا نقبل صلحا مستقلا » .

ووافق تشرشل علي ذلك فورا .. وقد قال فيما بعد : « لقد ذكرت لترومان اننا مقتنعون بأن الاستسلام يجب ان يكون دون قيد او شرط وللدول الثلاث في وقت واحد »

وعندما ابلغ ترومان وتشرشل ستالين بعرض هملر وردهما عليه ، شكرهما ستالين ، ووعدهما في رد مماثل بأن الجيش الاحمر سيواصل ضغطه علي برلين لمصلحة « قضيتنا المشتركة »

● احضروا لى شمبانيا!

ظل الجنرال هاينريتشى عدة ايام يطلب الاذن بسحب الجيش التاسع الذي يقوده الجنرال بوس ، ولكن هتلر رفض اصدار الامر بذلك ·· وقد أصبح الجيش التاسع الآن محاصرا من كل جهة ، تنهال عليه قنابل الروس ليلا ونهارا ··· والواقع ان كل مابقى من مجموعة جيش الفيستولا هو الفرقة المدرعة الثالثة التي يقودها الجنرال هاسو فون مانتوفيل · وكان هاينريتشى يعرف ان دبابات زوكوف قد تحاصرها قريبا ·

وفي ٢٥ ابريل دق جرس التليفون في مقر قيادة الفيستولا في بيركنهاين ورفع هاينريتشى السماعة ، كان المتحدث هو مانتوفيل ·· وقال بصوت يتسم بالكآبة :

« لابد ان احصل علي اذن منك بالانسحاب من ستيتن وشويت ·· انني لم اعد قادرا علي الصمود »

وتذكر هاينريتشى لحظة أمر أصدره هتلر في يناير لكبار جنرالاته قال فيه انهم مسئولون امامه شخصيا ولا يستطيعون سحب اية قوات او التخلي عن اية مواقع دون اخطار هتلر مقدما حتي يستطيع اتخاذ القرار ·

وعندئذ قال هاينريتشى : « تراجع! هل تسمعني ؟ ·· انني اقول لك تراجع ! » ووقف في معطفه المصنوع من جلد الاغنام ، وغطاء ساقيه الجلدي الذي يرجع الي الحرب العالمية الاولي بجوار مكتبه يفكر فيما فعله ·· لقد امضى ٤٠ عاما بالضبط في الجيش ،وهو يعرف جيدا ماذا حدث للضباط الذين عصوا أوامر هتلر ·· ثم اتصل برئيس اركان حربه ، وقال له : « اخطر القيادة العليا للقوات المسلحة انني أمرت الجيش الثالث بالتراجع »

***

في صباح ٢٨ ابريل علم الفيلدمارشال كيتل بما فعله هاينريتشى ، فقد شاهد التقهقر بنفسه ، وهو يمتطي سيارته خلال منطقة الجيش الثالث · واسرع باستدعاء هاينريتشي وفون مانتوفيل ·· واجتمع الرجال الثلاثة في ذلك الصباح في طريق علي مقربة من فوبراندنبرج ·

كان هاينريتشى ثائرا غاضبا ··واخرج من جيبه أمرا حديثا للقيادة العليا بالهجوم صوب برلين ، ولوح به تحت أنف كيتل ، وقال : « كيف بحق السماء تستطيعون اصدار أوامر كهذه ؟ » ·· ورد كيتل قائلا : « ان



كانت المعركة تدور من حول « هاوس داليم »

كل ما استطيع ان اراه هو قوات متراجعة .. ان مجموعة الجيش لا تفعل شيئا الا الانسحاب » ..

وشرح هاينريتشى الموقف بهدوء وايده مانتوفيل في كل شىء ، قائلا : انه كان مضطرا الي الانسحاب الي أبعد من ذلك اذا لم يحصل علي اية قوات احتياطية .

وأجاب كيتل بعنف : « ليس هناك اية قوات احتياطية اخري . ان ماأذكره لك الآن هو أوامر الفوهرر .. أن على الجناح الايمن للجيش ان يشن هجوما مضادا نحو برلين » .. واعترض هاينريتشى للمرة الثانية ولكن كيتل صاح فيه : « ان قيادتك متراخية ... اطلق النار علي الف جندي ، واني اتعهد لك بأن الباقين سوف يصمدون في الجبهة ! »

وبينما كان يقول ذلك ، مرت الي جوارهم عربة صغيرة يجرها جواد وتحمل ضابطين من السلاح الجوى الالمانى .. فقال هاينريتشى لكيتل: ها هما جنديان هاربان .. لماذا لاترينا بنفسك ماذا ينبغى ان نفعل ؟ »

وزمجر كيتل ، وتمتم قائلا : أنه سيقدم الضابطين للمحاكمة العسكرية ثم سار نحو سيارته وعندما مر اماممانتوفيل قال : « سوف تتحمـل مسئولية اعمالك امام التاريخ » ٠٠ ثمانطلق بسيارته بعيدا ٠

واستغرق هاينريتشى ثلاث ساعاتللعودة الي مقر قيادته ، وهي مسافة يقطعها عادة في ٢٠ دقيقة ٠٠٠ كانتالطرقات في كل مكان مكتظة بالجنود المتراجعين واللاجئين المدنيين ، وعندماوصل في النهاية ، وجد برقيـة من الاميرال الذي يتولي قيادة قوات ميناء« سويشموند » على نهر الاودر يعلن فيه انالميناء فقدعنه أهميتهللاسطول ويمـكن التخلى عنـه . وكان هاينريتشى يعرف ان هناك حوالي ١٥الف مجند غير مسلحين في سوينموند وان الروس سيطوقون البلدة خـلال ساعات ٠ وحاول الاتصال بكيتل علي الفور ولكنه لم يستطع ذلك الا بعـدمنتصف الليل وقال لرئيس اركانحرب الفوهرر : « انني مسئول عن هؤلاءالمجندين العزل الخمسة عشر الفا ٠٠ يجب ان يخرجوا من البلدة قبل فواتالاوان » .

وكان في ذلك النهاية لهاينريتشى ٠٠لقد أجاب عليه كتيل بخشونة قائلا : ان وظيفتك هي أن تنفذ الاوامر لا أنتشعر بالمسئولية ٠٠ فاذا لم يكن هذا واضحا فانني سأقدمك للمحاكمـةالعسكرية بتهمة العصيان في وجـه العدو »

وما كاد هاينريتشى يسمع كلمة المحاكمة العسكرية حتي انفجر وقال :
« في هذه الحالة فانني مستقيل منقيادتي ياسيدي الفيلد مارشـال ٠ فأرجو ان تبحث عن شخص آخر لتنفيذأوامرك »

وأعاد سماعة التليفون بشـدة ٠٠ثم التفت الي ياوره الكابتن هنريتش فون بيلا وقال له : «الان يا بيلا ..احضر لي زجاجة شمبانيا !

***

في ساعة مبكرة من صـباح اليومالتالى تلقى هاينريتشى فى مقر قيادته أمرا بالتوجـه الى ثكنات الجيش فى(بلون) وبينما كان يستعد للرحيل، تقدم منه الكابتن هلموث لانج وقال :سيدى الجنرال .. أتوسل اليـك ألا تسرع في الذهاب الي بلون ٠

فسأله : ما ذا تقول ؟٠٠

فقال الكابتن : منذ سنوات ، كنتمعتادا السير وراء فرقةاللواء الموسيقية فى شوابيتشجموند وكنتأنت يومئذبرتبة ميجور ٠٠ وكان في نفس اللواء هنـاك كابتن أعرفه جيدا .. هوروملِ ٠٠ ولست أحب أن يكـون مصيرك مثل مصير الفيلد مارشـالروملِ ٠

فسأله هاينريتشي : ماذا تعنى ؟لقد مات رومل متأثرا بجروحه ٠٠

فأجاب الكابتن : « كلا يا سيدي٠٠انه لم يمت بسببها ٠ لقد أجبروه على الانتحار » .

وحدق فيه هاينريتشى ٠٠ وقال : وكيف عرفت ذلك ؟ »

ـ لقد كنت ياور رومل ٠٠ انني أتوسل اليك أن تقود سيارتك الي بلون بأبطأ سرعة ممكنة ٠٠ فلربما انتهت الحرب قبل أن تصل الي هناك ٠

وكان هذا التحذير هو الذي أنقذ حياة هاينريتشى ٠٠ وصافح الضابط وقال له : « أشكرك » وبعد أن ودع ضباطه ، ركب سيارته ٠٠ وعندما بدأت سيرها نحو بلون ، انحني للامام وربت علي كتف السائق قائلا له « اننا لسنا في عجلة » ٠

● الحلقة المغلقة

اخذ الروس يتدافعون من كل مكان ٠٠ وراحت أحياء المدينة تسقط واحدا بعد الاخر وخطوط دفاعها الهزيلة تتهاوي ٠٠ كانت المتاريس في الشوارع تتحطم كأنها أعواد ثقاب ٠٠ وأخذت الدبابات الروسية وهي تزحف بسرعة تنسف المباني بدلا من أن ترسل جنودا وراء القناصة ، وكانت تطلق نيرانها علي بعض العقبات الموضوعة في الشوارع كعربات الترام والمركبات المليئة بالاحجار ، فتحطمها تماما ٠

ولكن في ٢٨ ابريل كان الروس قد أطبقوا علي وسط المدينة ٠٠ كانت حديقة الحيوان قد أصبحت أرضا قفراء فسيحة ، والمذبحة التي حدثت بين الحيوانات رهيبة ، وكانت الاسود قد قتلت برصاص البنادق ، وروزا فرسة النهر قتلتها قذيفة في حوضها ، بينما اختفي طائر أبو مركوب النادر من حمام منزل شفارتز حارس الطيور في الحديقة وعندئذ أمر مدير الحديقة لوتز هيك بقتل القرد الكبير بعد أن تحطم قفصه وأصبح هناك خطر من احتمال فراره ٠

وشق هيك طريقه الي أقفاص القرود وهو يحمل بندقية بيده ٠٠ وكان القرد الكبير ـ وهو صديق قديم له ـ يجلس بجوار قضبان القفص ، فرفع هيك البندقية ووضع فوهتها علي مقربة من رأس الحيوان ، فأبعدها القرد برفق ، ولكن هيك رفعها من جديد ، فأبعد القرد الفوهة مرة أخري عن وجهه ٠٠ فحاول هيك مرة أخري وهو يرتعش .. ثم جذب الزناد !

● مات الفوهرر !

كانت الحياة في مخبـــأ الفوهررتمضي بلا غاية ، وفي صورة أشـبه بالحـــلم ٠٠ وتقول جيرترود جانجاحدي سكرتيرات هتـــلر : « كان الباقون يتوقعون باستمرار اتخـــاذقرار ما ، ولكن شيئا لم يحدث ٠٠ كانت الخـــرائط تفرد علي الموائد ،وتفتح كل الابواب ، ولم يعـــد في استطاعة أحد أن ينـــام ، أو يعرفالتاريخ أو الســاعة ٠٠ ولم يستطع هتلر البقاء بمفرده فظل يذرع أرضالغرف ، ويتحدث مع كل شخص من الباقين » .

لم يكن هناك الان من يشك في أنهتلر ينوي الانتحار ، فقد كان يتحدث كثيرا عن ذلك ٠٠ ويبـــدو أيضا أنالجميع كانوا يعـــرفون أن جوزيف جوبلز وزوجته ماجـــدا يعتزمانالتخلص من حيـــاتهما وحياة أطفالهما الستة ، والوحيدون الذين لا يريدونذلك هم الاطفـــال أنفسهم ٠٠ كانوا يلعبون ويغنون أغنيـــة «العم أدولف»وقد ذكروا لاروين جاكوبـك ـ وهو خادم كان يعمـــل في المخبأ ـ انهمذاهبون في رحلة طويلة بالطائرة خارج برلين ٠ وقالت هيلجا كبري الاطفال: «سوف نأخذ حقنة لكي تمنع عنـــا دوار الجو » ٠

كان باديا لهتلر بوضوح أن النهايةقد قربت ، وفي فجر ٣٠ أبريل ، كان قد أملي وصيته الخاصة ، تاركا زمامالحـــكم للامـــيرال دونيتز كرئيس للجمهورية، وجوزيف جوبلزكمستشارللرايخ، كما تزوج عشيقته ايفا براون ٠٠ وبعد انتهاء مراسم الزواج جلسهو وعروسه لمدة ســاعة مع جوزيف وماجدا جوبلز ومجموعة من الضباط٠وقد بقيت جرترود جانج لكي تعرب عن أمانيها الطيبة للعروسين ٠ وتقولأن هتلر تحدث عن نهاية الاشتراكية الوطنية وقال : « ان الموت بالنســبةلى لا يعنى الا الحرية من القلق ومن حياة بالغة الصعوبة ٠ لقـــد خدعنيأفضل أصـــدقائى ، وعرفت معني الخيانة » ٠

وفي اليوم التـــالي كانت الدباباتالروسية لا تبعد أكثر من نصف ميل، فقرر هتلر أن الوقت قد حان ٠ وتناول الغداء مع سكرتيرته وطاهيه ، وكانت الوجبة الاخيرة تتكون من ســباجيتيوصلصة خفيفة ـ كما يذكر الخادم أروين جاكوبك ـ وودعهم هتلر بعـــدالغداء فقـــال لجرترود جانج : « أما وقد بلغت الامور هذا الحد ، فقـــدانتهي كل شيء ٠٠ وداعا » ثم اختفي هو وايفا في غرفتهما ٠

واتخذ الكولونيل أوتو جانش مكانه خارج باب الغرفة المؤدية الى جناح هتلر ، وبينما كان ينتظر اذ أقبلت نحوه فجأة ايفا جوبلز شاردة الذهن وطلبت رؤية هتلر . ودق جانش على باب الفوهرر .. وقال فيما بعد «كان الفوهرر واقفا فى غرفة مكتبه ، وقد تضايق لدخولي جدا .. وسألته عما اذا كان يريد مقابلة فراو جوبلز ،فقال لى : « لا أريد أن أتكلم معها أكثر من ذلك » فانصرفت ..

وبعد خمس دقائق ، سمعت طلقة نارية .. ودخل بورمان أولا ، ثم دخلت أنا بعد لينج خادم هتلر الخاص كان هتلر يجلس على مقعد ، وايفا راقدة على الاريكة ، وكان وجه هتلر مغطى بالدماء ، وهناك رائحة سيانيد قوية .. ولم يقل بورما شيئا ، ولكنني دخلت الى الفور غرفة الاجتماعات حيث كان جوبلز وآخرون يجلسون وقلت لهم « لقد مات الفوهرر* » .

وبعد فترة قصيرة ، لفت الجثتان في أغطية ، ووضعتا في منخفض غير عميق أمام مدخل المخبأ ، وسكب البنزين عليهما ثم أشعلت فيهما النيران . ويقول اريك كيمبكا سائق سيارة الفوهرر انه حتى في ذلك الحين ، كانوا جميعا يشعرون بالرهبة من وجود هتلر وكان جو المخبأ يمتلىء برائحة الجثث المحترقة ، وكانت أشبه برائحة لحم خنزير يحترق ! .

● الاستسلام

كان الخراب يعيث فى انحاء برلين في ذلك الحين ، وقد أضطر المدافعون عنها الى التراجع الى قلب المدينة ،وكان القتال يدور في أرجاء منطقة تيرجارتن وفي حديقة الحيوان كانت المدفعية الروسية تصلي المدينة بوابل من قنابلها من محور الشرق والغرب،وهناك معركة ضارية يدور رحاها داخل البرلمان . ولم يستطع الجنرال كارل فيولنج – الذي عين حديثا قائدا للمدينة – أن يرى ما يمكن عمله الا الاستسلام . وقبل الواحدة من صباح ٢ مايو بقليل ، التقطت فرقة البنادق التاسعة والسبعون التابعة للجيش الاحمر رسالة لاسلكية تقول:

« هاللو .. هاللو .. هنا فرقة الدبابات السادسة والخمسون . اننا نطلب هدنة . في الثانية عشرة والدقيقة الخمسين بتوقيت برلين

---

* سجن الروسى أوتو جانشى آخر رجل رأى هتلر حيا ولم يطلق سراحه الا اخيرا. وهذه اول مرة يذكر فيها قصة الساعات الاخيرة لهتلر كاملة .

سنرسل مفاوضين للهدنة الي جسربوتسدام ، وعلامة التعارف هي علم أبيض · في انتظار الرد » ·

وبمجرد تلقي الرسالة أمر الجنرالشويكوف علي الفور بوقف اطلاق النار ·· وفي ذلك الصباح ، طافتمكبرات صوت قوية فى أرجاء المدينة تعلن انتهاء القتال · ورغم أن اطلاقالنار بصورة متقطعة قد استمر عدة أيام ، فان معركة برلين انتهت رسميا،والاشخاص الذين غامروا بدخول ميدان الجمهورية في ذلك الصباح ،شاهدوا العلم الاحمر يرفرف علي مبنى الرايخشستاغ !

***

علي الرغم من أن الروس كانوايعرفون أن مخبأ الفوهرر يكمن تحت دار المستشارية ، فقد قضوا عدةساعات قبل اكتشافه ، وعندما وصلوا كانت أول جثث يعثرون عليها هيجثتى الجنرال فيلهلم بيرجدورف ياور هتلر ، والجنرال كريبس ، وكانالضابطان يجلسان في الردهة أمام مائدة طويلة تمتليء بالزجاجاتوالاقداح ، وقد أطلق كل منهما النار علي نفسه ·· واكتشف الميجوربوريس بوليفوي جثث أسرة جوبلز ، وكان بين أولي الفرق التي دخلتلتفتيش المخبأ ·

ووجد فريق خاص من الخبراء جثةهتلر علي الفور تقريبا ، مدفونة تحت طبقة رفيعة من الارض · وتأكدالمؤرخ الروسى الجنرال ب· س تلبوكوفسكي أنها جثة هتلر وقال :«كانت الجثة محترقة بصورة شنيعة، ولكن الرأس كان سليما رغم أنه تحطمبرصاصة مسدس ، وقد خلعتالاسنان وكانت ملقاة بجوار الرأس » ·

ثم بدأت بعض الشكوك تثور ··فقداكتشفت جثتان أخريان ذات ملامح تشبه ملامح هتلر وعندما طلب اليالموظفين الالمان التعرف عليهما لم يستطيعوا، أولم يقبلوا .. وبعدبضعةأيام ، أمر الكولونيل جنرال فاسيلى سوكولوفسكي الروسى باجراء فحصعلي أسنان كل جثة ، وأحضرت كاثى هوسرمان وفريتز اختمان الفتياناللذان كانا يعملان مع طبيب أسنان هتلر «بلاشكه» ·

وعرض علي كاثى كل الفك الاسفللهتلر ، « وكباري » أسنانه فتعرفت عليها فورا وكان من السهل معرفةالعمل الذي قامت به هي وبلاشكه منذ بضعة شهور ، ويبدو أنه كان مننتيجة تعرفها هذا ، أنها قضت الاحد عشر عاما التالية في أحد سجونالاتحاد السوفيتي ، وكانت أغلب الوقت في حبس انفرادي ·

ماذا حدث لبقايا جثمان هتلر ؟ ٠٠ان الروس يزعمــــون أنهم أحرقوها خارج برلين مباشـــرة ، ولكنهم لميقولوا أين بالضبط ٠٠ وقالوا أنهم لم يجدوا جثمان ايفا براون قط وأنه يبدوأنه استهلك تماما بوساطة النيران ، وأن أية أجزاء يمكن التعرف عليهــالابد أنها دمرت أو بعثرت خلال ضرب المباني الحكومية بالمدافع بعنف ٠

● انتهى كل شيء !

كانت آخر رســـالة للموظفين منمدير وكالة أنباء « ترانس أوشان » الالمانية شبه الرسمية مكتوبة باللغــةالفرنسية ٠٠ وكانت تقول : «ليحاول القادرون انقاذ أنفسهم» وعمل أبنـــاءبرلين في كل مكان بهذا الاقتراح ٠٠ كانت هناك عربات أطفال ، وسيارات‌وعربات تجرها الخيـــل ، وسيارات موظفين ، ورجال علي ظهور الخيل ،وألوف من النـــاس علي الاقدام ، يتدفقون من برلين عبر الكباري المؤديةالي شبانداسر ٠٠ وقد استمر الخروج الكبير عدة ســاعات ٠٠ وربما كانقرار الاستسلام قد وقع ، ولكن اطلاق النار كان لايزال مســـتمرا ، وكلمايريده أهل برلين هو الهرب ٠

وبينما كانت الحشــود الكبيرة منالناس تمــلأ الطرقات المؤدية نحـــو الجسور، كانت القذائف تتساقط بينهممرة أخري ٠٠ وقد فقدت هيلدجارد بانزر طفليها ولفجانج ـ ٩ سنوات ـوهيلجا ـ ٥ سنوات ـ وهي تحاول الهرب بهما وسط الزحام ، ولم ترهمابعد ذلك قط ويقدر عدد الذين قتلوا أو جرحوا في هذا الرحيـــل المجنونبحوالي ٢٠ ألفا ٠

وقد توقفت آخــــر القــذائف عنالسقوط ، وترك اللاجئون صوت نيران المدافع وراءهم ، وساروا مســـافةأخري زيادة في الاطمئنان ، ثم تهالكوا علي الارض ٠٠ ونام الرجال والنساءوالاطفال حيث سقطوا : في الحقول ، والخنادق ، والدور الخالية، والمركباتالمهجورة ، علي جانبي الطرق ، وفوق الطرق ذاتها ٠٠ انهم في أمان الان ! لقد انتهت المعركة الاخيرة !

***

راح هنريتش شفارتز يسير خــلالحديقة الحيوان التي ســـادها الدمار الرهيب وهو يصيح : «أبو !٠٠ أبو!»وقال لنفسه : لم يعد هناك شيء الان ٠٠كانت الحيوانات الصريعة والانقاضتملأ كل مكان ، واتجــه نحو حوض الماء وصـــاح : « أبو !٠٠ أبو ! »وسمع صوت رفرفة أجنحة ٠٠ وعلي

---

* كان أول تأكيد سوفيتي بموت هتلرهو الذى ذكر للمؤلف وللبروفسور جـون اريكسون الاستاذ بجامعةمانشستر الانجليزيةبوساطة المارشال فاسيلى سوكولوفسكى فى ١٧ ابريل ١٩٦٣ أى بعد ١٨ سنة تقريباعلى وقوع الحادث نفسه .

حافة الحوض الخالي ، رأي طائرابو مركوب يقف على ساق واحدة وهو ينظر اليه ·· وسار شفارتزخلال الحوض وأمسك بالطائر ·· وقال له : « لقد انتهي كل شيءيا أبو مركوب .. انتهى كل شيء ! »

***

في ٤ مايو خرجت ايلزي آنتز منقبوها لاول مرة في وضح النهار منذ يوم ٢٤ أبريل.. كانتشوارع برلينيسودها هدوء غريب ·· وتقول فيما بعد : « كنت قد اعتدت ظلام القبو ،فلم أر شيئا لاول وهلة غير دوائر سوداء أمام عيني ·· ولكنني تطلعتحولي ·· كانت الشمس ساطعة ، والربيع قد أقبل ·· والاشجار مزهرةوالجو هادئا . لقد كانت الطبيعة – حتي في هذه المدينة المعذبةالمحتضرة – تبعث الحياة من جديد·· لم يكن هناك شيء يؤثر في نفسيحتي ذلك الحين ، فقد ماتت كل العواطف · ولكنني نظرت اليالحديقةحيث أقبل الربيع ، فلم أستطع تمالك نفسي بعد ذلك ·· ولاول مرة منذبدأ كل شيء ·· بكيت ! » ·

((تمت))

